

٣٠١- عن أبي هريرة رضي الله عنه : (أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابةً أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الممل، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك» .

=====

(إن لي قرابةً) أي: ذوي قرابة .

(أصلهم) أي: أحسن إليهم .

(ويقطعونني) أي: يقطعوا قرابتي .

(وأحسن إليهم، ويسيئون إليّ) بالحق الضرر .

(وأحلم عنهم ويجهلون عليّ)؛ أي: يعاملونني بالجهل، والجهل هنا: القبيح من القول؛ أي: يقولون قول الجهال، من السب، والتقبيح .

(وتسفهمهم) بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء تطعمهم .

(الممل) بفتح الميم، وتشديد اللام وهو الرماد الحار .

١- الحديث دليل فضل الإحسان إلى الأقارب ولو أساءوا ، وأنه يصير كأنه يسفهم الممل .

قال النووي : أي كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق أكيل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم، لكن يناههم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه، وإذخالهم الأذى عليه، والله أعلم.

وقال القرطبي : ومعنى ذلك: أن إحسانك إليهم مع إساءتهم لك، ينتزل في قلوبهم منزلة النار المحرقة؛ لما يجدون من ألم الحزري، والفضيحة، والعار الناشئ في قلب من قابل الإحسان بالإساءة.

٢- الحديث دليل على فضل من يصل أرحامه، ويحسن إليهم، وهم يقطعونه، ويجهلون عليه؛ فإن له بذلك الأجر العظيم، والعون والنصر من الرؤوف الرحيم .

قال الله رحمه الله (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) .

وقال (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) .

٣- الحث على صلة الأرحام .

٤- معونة الله لمن يصبر ويعفو ويصفح .

٥- ذم من يقابل الإساءة بالإحسان .

٦- مقابلة الإساءة بالإحسان مظنة رجوع المسيء إلى الحق، كما قال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).

٧- ما عاقبت من عصا الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

٨- امتثال أمر الله سبب عون الله للعبد المؤمن.

٩- قطيعة الرحم ألم وعذاب في الدنيا، وإثم وشدة حساب في الآخرة.

١٠- ينبغي على المسلم أن يحتسب في عمله الصالح، ولا يقطع أذى الناس وقطيعتهم عن عادته الطيبة.

٣٠٢- عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (ثَمَنُ الْكَلْبِ حَيْثُ . وَمَهْرُ الْبَغِيِّ حَيْثُ ، وَكَسْبُ الْحَجَّامِ حَيْثُ).

=====

١- هذا الحديث فيه نهي عن بيع من البيوع وهو النهي عن بيع الكلب .

وهذا مذهب جماهير العلماء : أنه لا يجوز بيع الكلب .

قال النووي: وبهذا قال جماهير العلماء منهم: أبو هريرة، والحسن، والبصري، وربيعه، والأوزاعي، والحكم، وحماد والشافعي، وأحمد، وداود، وابن المنذر، وغيرهم.

وقال الحافظ: ظاهر النهي تحريم بيعه ، وهو عام في كل كلب معلماً كان أو غيره مما يجوز اقتناؤه أو لا يجوز ، ومن لازم ذلك أن لا قيمة على مثله ، وبذلك قال الجمهور " انتهى .

أ- عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ ، وَمَهْرِ الْبَغِيِّ ، وَخُلْوَانِ الْكَاهِنِ) متفق عليه .

ب- ولحديث الباب - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ (ثَمَنُ الْكَلْبِ حَيْثُ) .

ج- ولحديث أبي جحيفة رضي الله عنه قَالَ (نَهَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ) رواه البخاري.

د- ولحديث ابن عباس مرفوعاً (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب وقال: إن جاء يطلب ثمن الكلب فاملاً كفه تراباً) رواه أبو داود وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر.

هـ- ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (لَا يَجِلُّ ثَمَنُ الْكَلْبِ، وَلَا خُلْوَانُ الْكَاهِنِ، وَلَا مَهْرُ الْبَغِيِّ) رواه أبو داود، قال الحافظ: إسناده حسن.

وذهب بعض العلماء: إلى جواز بيع كلب الصيد لرواية (إلا كلب صيد) .

لكن هذا القول ضعيف وهذه الزيادة غير ثابتة.

قال النسائي بعد روايته للحديث: هَذَا مُنْكَرٌ.

وقال السندي في (حاشية النسائي) ضعيف باتفاق المحدثين.

وقال النووي: وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي النَّهْيِ عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ إِلَّا كَلْبَ صَيْدٍ ، وَأَنَّ عُثْمَانَ عَزَمَ إِنْسَانًا ثَمَنَ كَلْبٍ قَتَلَهُ عِشْرِينَ بَعِيرًا ، وَعَنْ إِبْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ التَّعْرِيمَ فِي إِثْلَافِهِ فَكُلُّهَا ضَعِيفَةٌ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ . (شرح مسلم).

٢- اختلف العلماء في حكم بيع السنور على قولين:

القول الأول: تحريم بيعه.

وهو قول الظاهرية، ورواية عن الإمام أحمد رحمه الله.

وحكاه ابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله عنه ومجاهد وجابر بن زيد.

وجزم ابن القيم بتحريم بيعه في (زاد المعاد) وقال: وكذلك أفتى أبو هريرة رضي الله عنه وهو مذهب طاووس، ومجاهد، وجابر بن زيد، وجميع أهل الظاهر، وإحدى الروایتين عن أحمد، وهو الصواب لصحة الحديث بذلك، وعدم ما يعارضه فوجب القول به.

قال الشوكاني: وهو يتكلم عن فقه الحديث: وفيه دليل على تحريم بيع الهر، وبه قال أبو هريرة، ومجاهد، وجابر وابن زيد حكى ذلك عنهم ابن المنذر وحكاه المنذري عن طاووس.

أ- عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرًا عَنْ ثَمَنِ السِّنُّورِ وَالْكََلْبِ؟ فَقَالَ (زَجَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ ذَلِكَ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ

ب- وروى أبو داود والترمذي عن جابر بن عبد الله قال (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب والسِّنُّورِ).

القول الثاني: جوزا بيعه.

وهو قول جمهور العلماء. (كما حكاه النووي عنهم).

قال النووي: هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة.

وأجاب هؤلاء عن حديث النهي بأجوبة:

الجواب الأول: أنه ضعيف.

وأشار إلى هذا الإمام الخطابي، وعزاه النووي لابن المنذر.

والرد عليهم:

قال النووي: وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْخَطَّابِيُّ وَأَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ مِنْ أَنَّ الْحَدِيثَ فِي النَّهْيِ عَنْهُ ضَعِيفٌ فَلَيْسَ كَمَا قَالَا، بَلْ الْحَدِيثُ صَحِيحٌ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَعَبْرَهُ. (شرح مسلم).

وقال رحمه الله: أما ما ذكره الخطابي وابن المنذر أن الحديث ضعيف فغلط منهما، لأن الحديث في صحيح مسلم بإسناد صحيح. (المجموع)

الجواب الثاني: أنه محمول على كراهة التنزيه.

والرد عليهم:

قال الشوكاني في (نيل الأوطار) ولا يخفى أن هذا إخراج للنهي عن معناه الحقيقي بلا مقتضى .

الجواب الثالث: أن المراد بالنهي: الهرة الوحشية التي لا يملك قيادها فلا يصح بيعها لعدم الانتفاع بها.

قال النووي: وأما النهي عن ثمن السنور فهو محمول على أنه لا ينفع، فَإِنْ كَانَ إِذَا يَنْفَعُ وَبَاعَهُ صَحَّ الْبَيْعُ.

الجواب الرابع: أن ذلك كان في ابتداء الإسلام.

والرد عليهم:

قال البيهقي في السنن رداً على الجمهور أيضاً: وقد حمله بعض أهل العلم على الهر إذا توحش فلم يقدر على تسليمه، ومنهم من زعم أن ذلك كان في ابتداء الإسلام حين كان محكوماً بنجاسته، ثم حين صار محكوماً بطهارة سوره حل ثمنه، وليس على واحد من هذين القولين دلالة بينة.

٣- تحريم مهر البغي ، وهو ما تأخذه المرأة الزانية في مقابل الزنا .

قال النووي : وهو حرام بإجماع المسلمين .

وهو حرام على الزانية وعلى الزاني .

أ-لحديث أبي مسعود السابق (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَمَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ ، وَمَهْرِ الْبَغِيِّ ، وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ) .

ب-ولحديث الباب .

والحكمة : لأن هذا عوض عن محرم ، والقاعدة : أن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه .

٣-قوله (وَكَسْبُ الْحَبَامِ حَبِيثٌ) فيه النهي عن كسب الحجام .

وقد اختلف العلماء في حكم كسب الحجام على قولين :

القول الأول : أنه حرام .

أ-لحديث الباب (كسب الحجام خبيث) .

ب- ولحديث أبي هريرة (أن النبي ﷺ نهى عن كسب الحجام) رواه أحمد .

القول الثاني : أنه حلال .

وهذا مذهب الجمهور .

قال النووي : فَقَالَ الْأَكْثَرُونَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ : لَا يَحْرُمُ كَسْبُ الْحَجَّامِ ، وَلَا يَحْرُمُ أَكْلُهُ لَا عَلَى الْحُرِّ وَلَا عَلَى الْعَبْدِ .

أ-لحديث ابن عباس قال (اِحْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَعْطَى الَّذِي حَجَمَهُ أَجْرَهُ - وَلَوْ كَانَ حَرَامًا لَمْ يُعْطِهِ) متفق عليه .

وعند مسلم (وَلَوْ كَانَ سُحْحًا لَمْ يُعْطِهِ النَّبِيُّ ﷺ) .

ب- ولحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال (حَجَمَ أَبُو طَيْبَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ) متفق عليه .

ج - عَنْ ابْنِ مُحَيِّصَةَ ، عَنْ أَبِيهِ (أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي إِجَارَةِ الْحَجَّامِ فَنَهَا عَنْهَا فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَأْذِنُهُ ، حَتَّى أَمَرَهُ أَنْ

أَعْلِفُهُ نَاضِحًا وَرَقِيقًا) رواه أبو داود .

قال ابن قدامة : وقول النبي ﷺ في كسب الحجام (أطعمه رقيقك) دليل على إباحة كسبه ، إذ غير جائز أن يُطعم رقيقه ما

يُحرم أكله ، فإن الرقيق آدميون يحرم عليهم ما حرمه الله تعالى كما يحرم على الأحرار .

وهذا القول هو الصحيح .

قال النووي : وَحَمَلُوا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي فِي النَّهْيِ عَلَى التَّنْزِيهِ وَالِإِرْتِفَاعِ عَنْ دَنِيءِ الْأَكْسَابِ ، وَالْحَثِّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

وَمَعَالِي الْأُمُورِ . وَلَوْ كَانَ حَرَامًا لَمْ يُفَرَّقْ فِيهِ بَيْنَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطْعِمَ عَبْدَهُ مَا لَا يَجِلُّ .

وقال ابن قدامة : ويدل على أنه مباح وليس حراماً : ما روى ابن عباس قال (احتجم النبي ﷺ وأعطى الحجام أجره ولو علمه

حراماً لم يعطه) متفق عليه . وفي لفظ (لو علمه خبيثاً لم يعطه) .

وقال رحمه الله : وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي كَسْبِ الْحَجَّامِ (أَطْعَمُهُ رَقِيقًا) دَلِيلٌ عَلَى إِبَاحَةِ كَسْبِهِ ، إِذْ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُطْعِمَ رَقِيقَهُ مَا

يَحْرُمُ أَكْلُهُ ، فَإِنَّ الرَّقِيقَ آدَمِيَّوْنَ ، يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، كَمَا يَحْرُمُ عَلَى الْأَحْرَارِ ، وَتَخْصِيصُ ذَلِكَ بِمَا أُعْطِيَهِ مِنْ غَيْرِ

اسْتِجَارٍ تَحْكُمُ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ ، وَتَسْمِيَّتُهُ كَسْبًا خَبِيثًا لَا يَلْزَمُ مِنْهُ التَّحْرِيمُ ، فَقَدْ سَمَى النَّبِيُّ ﷺ الثُّومَ وَالْبَصَلَ خَبِيثَيْنِ ، مَعَ إِبَاحَتِهِمَا

وَإِمَّا كَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ لِلْحُرِّ تَنْزِيهاً لَهُ ؛ لِذِنَاءَةِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ... وَأَمْرُهُ بِإِطْعَامِ الرَّقِيقِ مِنْهَا دَلِيلٌ عَلَى الْإِبَاحَةِ ، فَيَتَعَيَّنُ حَمْلُ نَهْيِهِ

عَنْ أَكْلِهَا عَلَى الْكِرَاهَةِ دُونَ التَّحْرِيمِ . (المغني) .

وقال ابن القيم : وتسميته إياه خبيثاً كتسميته ﷺ للثوم والبصل خبيثين ، ولم يلزم من ذلك تحريمهما .

والخبث كما يطلق على الحرم ، يطلق على الشيء الرديء والكسب الدنيء ، كقوله تعالى (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ) .

٤- قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله هذه الأشياء الثلاثة [ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن] محرمة على الآخذ

ومحرمة على المعطي، فهذا رجل جاء إلى رجل عنده كلب صيد، وأبى أن يبيعه إلا بعشرة آلاف، فقبل المشتري، ثم قال: لا

أعطيك عشرة آلاف لأن الرسول ﷺ: نهى عن ثمن الكلب، فنقول إما أن ترجع الكلب إن كان باقياً، وإلا أعطنا الدراهم،

فناخذ الدراهم منه ونجعلها في بيت مال المسلمين، ولا نعطيها لصاحب الكلب، لأنه لا يستحق ذلك، فإذا قال صاحب الكلب

ردوا علي كلي، نظرنا، إن كان يحتاجه رددناه عليه وإن لم يكن في حاجة إليه قلنا: أنت لست بحاجة إليه ولا يحل لك أن تقتنيه

٣٠٣- عن أبي هريرة . قال : قال ﷺ (تَوَضَّؤُوا مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ) .

=====

(تَوَضَّؤُوا مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ) أي : من أكل ما غيَّرتَه، وأنضجته النار .

١- ذهب بعض العلماء إلى وجوب الوضوء بأكل ما مسته النار.

لحديث الباب (تَوَضَّؤُوا مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ) .

وذهب جماهير العلماء إلى أن الوضوء لا ينتقض بأكل ما مسته النار.

وهذا قول أكثر العلماء، روي عن الخلفاء الراشدين، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس، وعامر بن ربيعة، وأبي الدرداء، وأبي أمامة، وعامة الفقهاء.

قال الموفق : ولا نعلم اليوم فيه خلافاً.

أ-لحديث البراء قال (سئل رسول الله ﷺ عن لحوم الغنم؟ فقال: لا تتوضؤوا منها).

ب-ولحديث جابر قال (كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار).

ج- ولحديث ابن عباس (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَكَلَ كَيْفَ شَاءَ، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ) متفق عليه.

د- ولحديث عمرو بن أمية (أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْتَرُّ مِنْ كَيْفِ شَاءَ، فَدَعِيَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَلْفَى السِّكِّينَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ) متفق عليه.

هـ- وَعَنْ مَيْمُونَةَ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ عِنْدَهَا كَيْفًا، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ) متفق عليه.

٢-الجواب عن حديث الباب ؟

قال النووي : وأجابوا عن حديث الوضوء مما مست النار بجوابين:

أحدهما: أنه منسوخ.

الجواب الثاني: أن المراد بالوضوء: غسل الفم والكفين . (شرح مسلم) .

وقد أنكر ابن عبد البر، والشوكاني الجواب الثاني.

جواب ثالث لابن تيمية: أجاب ابن تيمية بأن الأمر محمول على الاستحباب فقال: ولهذا أمر بالوضوء مما مست النار، وهو

حديث صحيح، وقد ثبت في أحاديث صحيحة أنه أكل مما مست النار ولم يتوضأ :

ف قيل: إن الأول منسوخ.

وقيل: بل الأمر بالتوضؤ مما مست النار استحباب كالأمر بالتوضؤ من الغضب، وهذا أظهر القولين.

٣٠٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ (أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ فَأَسْرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ

وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاجَتَهُ هَدْفٌ أَوْ حَائِشٌ نَحْلٍ . قَالَ ابْنُ أَسْمَاءَ فِي حَدِيثِهِ يَعْنِي حَائِطٌ نَحْلٍ) .

=====

(عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي .

(قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) أي : أركبني خلفه .

والدابة التي ركبها النبي ﷺ كانت بغلة، كما بُيِّنَ في رواية أحمد، ولفظه (قال: ركب رسول الله ﷺ بغلته، وأردفني خلفه) .
(فَاسْرَ إِلَيَّ حَدِيثًا) أي : كلمني به سرًّا .

(وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ) أي : عند قضاء حاجته .

(هَدَفَ) بفتح الهاء، والدال: ما ارتفع من الأرض، قاله النووي .

(أَوْ حَائِشٌ نُحْلٍ) يعني حائط نخل .

١- الحديث دليل على استحباب الاستتار عند قضاء الحاجة بجائط، أو هَدَفَ، أو وَهَدَةَ، أو نحو ذلك، بحيث يُعَيَّب جميع شَخْص الإنسان عن أعين الناظرين، وهذه سنة مؤكدة، قاله النووي رحمه الله .
والمراد استتار بدنه كله، فهذا أفضل ، وأما استتاره بالنسبة للعورة فهذا واجب .

٢- يسن أن يبتعد عن العيون - حتى لا يرى جسمه - إذا كان في فضاء كصحراء ليس فيها جبال أو أشجار ساترة .

أ- لحديث المغيرة بن شعبة قال: (فانطلق أي رسول الله ﷺ حتى توارى عني ففرضي حاجته) متفق عليه .

ب- ولحديث المغيرة قال: (كان النبي ﷺ إذا ذهب إلى الغائط أبعد) رواه أبو داود وصححه النووي .

ج- ولحديث جابر (أن النبي ﷺ كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد) رواه أبو داود .

هذا إن كان في الصحراء، فإن كان في البنيان حصل المقصود بالبناء المعد لقضاء الحاجة .

قال ابن القيم: وكان إذا ذهب في سفره للحاجة انطلق حتى يتوارى عن أصحابه، وكان يبعد نحو الميلين .

٣- الحكمة من الابتعاد :

أ- لئلا ترى عورته .

ب- أو يُسمع صوته .

ج- أو تشم رائحته .

قال الشوكاني: الظاهر أن العلة إخفاء المستهجن من الخارج .

٤- جواز الإدراف على الدابة إذا كانت مُطَيِّقة، وما ورد من النهي عن ذلك، فيحمل على ما إذا لم تُطَق، والله تعالى أعلم .

٥- علو مكانة عبد الله بن جعفر عند النبي ﷺ وكمال فضله وأهليته لأن يتَّخِذَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَوْضِعَ سِرِّهِ، وهذه أهلية شريفة وفضيلة مُنيفة.

٣٠٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَسُوا أَبَدًا) . فذلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَنُودُوا أَنْ تَلِكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

٣٠٦- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْئَقُ شَبَابُهُ) .

=====

(يُنَادِي مُنَادٍ) الظاهر أن هذا المنادي هو الله سبحانه وتعالى، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون:

وما لنا ...) .

(فَلَا تَبَأْسُوا) أي: لا يصيبكم بأس، وهو شدّة الحال، والبأس، والبؤس، والبأساء، والبؤساء بمعنى، وفي بعض النسخ (فلا تَبْتَسُوا) .

(لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ) أي: لا تُلحق ثيابه التي يلبسها؛ لأنها غير مركبة من العناصر .

(وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ) أي: لا يذهب شبابه، قال القاضي رحمه الله: معناه: أن الجنة دار الثبات والقرار، وأن التغيير لا يتطوق إليها، فلا يشوب نعيمها بؤس، ولا يعتره فساد، ولا تغير، فإنها ليست دار الأضداد، ومحل الكون والفساد .

١- في هذا الحديث أن نعيم الجنة دائم، نعيم لا يبديد ولا يفنى ولا ينقطع، ونعيم الجنة يختلف عما في الدنيا من النعيم؛ لأن نعيم الجنة لا خوف فيه، وأما نعيم الدنيا لا يدوم، ويعتره آلام وأسقام، وأهل الجنة يتقلّبون في نعيم ليس فيه مرضٌ ولا موت، ولا هَرَمٌ ولا عيب ولا نقص .

ففي هذا الحديث، في بيان نعيم الجنة قد نفى عنهم الآفات بجميع أنواعها :

أولاً : نفي المرض :

بقوله (إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا) .

في الجنة لا أمراض ، فالذي يدخل الجنة يكون صحيحاً، قوياً، لا يمرض أبداً.

لأن المرض ضعف وهزال في البدن، وهذا يتنافى مع النعيم واللذة في الجنة، فلا مرض في الجنة أبداً، بل الصحة والعافية الدائمة.

ثانياً : نفي الموت .

بقوله (وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا) .

فلا موت في الجنة أبداً ، بل حياة دائمة .

وهذا من أعظم تمام النعيم، أن أهل الجنة خالدون فيها أبد الأبدين.

هذا من أعظم النعيم وبه يتم النعيم، لأن أكبر ما ينكد اللذات، وينغص اللذات، أن يعلم صاحبها أنه زائل عنها، وأنها زائلة عنه، فكل نعيم بعده موت فليس بنعيم، والنعيم إذا تيقن صاحبه الانتقال عنه صار غمّاً.

فالفكرة بالزوال تكدر اللذات الحاضرة، ولذا كان النبي ﷺ يأمرهم أن يكثر من ذكر الموت، ويقال للموت: هاذم اللذات، لأن من تذكره ضاعت عليه لذته التي هو فيها، لأنه يقطعها، ولهذا قال (خالد بن فيها) لا يزول عنهم ذلك النعيم فتتكرر غبطتهم.

وأما في الدنيا، فمهما عاش الإنسان وطال عمره، فمأله إلى الموت .

قال تعالى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُزُورِ) ، وقال تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) .

وجاءت الآيات الكثيرة بخلود أهل الجنة بالجنة.

فقال تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا).

وقال تعالى (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا).

وقال تعالى (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا).

وقال تعالى (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفَجَّرُونَ الْأُولَئِكَ أُولُوا الْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

وقال ﷺ (من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه) رواه مسلم.

وقال ﷺ (إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيؤتى بالموت على شكل كبش فيذبح، فيقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ...) متفق عليه.

(خَالِدِينَ فِيهَا) أي: مقيمين فيها إقامة أبدية لا تحول ولا تزول، فلا يموتون ولا يفنون ولا يخرجون منها. -قال النسفي: الخلد والخلود البقاء الدائم الذي لا ينقطع.

-وقال ابن الجوزي: والخلود: البقاء الدائم الذي لا انقطاع له.

قال ابن عاشور: وقوله (وهم فيها خالدون) احتراس من تَوَهُّم الانقطاع بما تعودوا من انقطاع اللذات في الدنيا معرضة للزوال وذلك ينغصها عند المنعم عليه.

ثالثاً : نفي الهرم .

بقوله (وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا) .

أي: ستظلون طوال عمركم شباباً، لا يصيبكم كِبَرُ السِّنِّ.

ففي الجنة: لا يتطرق إليهم الهرم، والهرم آفة وعلة لا دواء لها، ومهما حاول الإنسان أن يذهب إلى الأطباء، فلن يجدي عنه ذلك شيئاً.

رابعاً : نفي الشقاء الأبدى .

بقوله (وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَئَسُوا أَبَدًا) .

ففي الجنة فنعيم مقيم .

ولذلك فإن أهل الجنة لا ينامون؛ فقد جاء ذلك في حديث صحيح عن النبي ﷺ (النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون)؛ لأن متعة النوم لا تكون إلا لمن يحتاج إليه من تعبٍ أو مرض، وأهل الجنة لا يجدون شيئاً من ذلك .

أما في الدنيا: لا يدوم له صفو ولا نعيم، فهكذا هي الحياة، إن أضحكت قليلاً، أبكت كثيراً، يوم فيه سرور ويعقبه حزن، ويوم فيه فرح ويعقبه عزاء .

فحقيقة نعيم الدنيا نعيم زائل.

روي: أن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، صِفْ لنا الدنيا، قال: وما أصِفُ لك من دار من صحَّ فيها أمن، ومن سقم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، حلالها حساب، وحرامها عذاب .

٢- قوله (مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْئَسُ، لَا تَبَلَى ثِيَابُهُ وَلَا يُفْنَى شَبَابُهُ) .

وفي الدنيا فالنعيم زائلة، والثياب تبلى، والعمر يفنى!

٣- إن كان لا موت في الجنة، فما الجواب عن قوله تعالى (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) .

قال ابن الجوزي: قوله تعالى: (إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ) فيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن (إِلَّا) بمعنى "سوى"، فتقدير الكلام: لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا،

ومثله (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) ؛ بمعنى: سوى ما قد فعل آباؤكم، هذا قول الفراء والزجاج .

والثاني: أن السعداء حين يموتون يصيرون إلى الرُّوح والرَّحْمَانِ، وأسباب من الجنة يَرَوْنَ منازلهم منها، وإذا ماتوا في الدنيا، فكأنهم ماتوا في الجنة؛ لاتصالهم بأسبابها، ومشاهدتهم إياها؛) قاله ابن قتيبة .

الثالث: أن "إِلَّا" بمعنى "بعْد" كما ذكرنا في أحد الوجوه في قوله (إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) وهذا قول ابن جرير .

٣٠٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ) .

=====

١- هذا الحديث يُبَيِّنُ فضل الله العظيم وكرمه العميم في قبول عباده المذنبين التائبين، حيث إنه تعالى من تمام لطفه بعباده أن فتح لهم باب الرحمة والمغفرة والإحسان، بحيث إذا وقع أحدهم في الذنب ثم تاب وأتاب، ورجع إليه: دخل في سعة رحمته تعالى .
حيث قال سبحانه (قل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ) .

وقال تعالى (الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه قال (ابْنُ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي عَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ، ابْنُ آدَمَ، إِنَّ تَلْقَنِي بِرُؤَابِ الْأَرْضِ حَطَايَا لَقَبْتُكَ بِرُؤَابِحَا مَغْفِرَةٍ بَعْدَ أَنْ لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، ابْنُ آدَمَ إِنَّكَ إِذَا تَذَنَّبْتَ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ذَنْبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَكَ وَلَا أُبَالِي) رواه أحمد .

٢- بيان فضل الله -تعالى- على عباده بالعفو والمغفرة؛ فعلى المؤمن أن يبادر إلى الاستغفار ليغفر الله له .

٣- بعض الحكم من وقوع الإنسان في الذنوب والمعاصي :

أحدها: أنه - سبحانه - يحب التوابين ويفرح بتوبتهم ، فلمحبته للتوبة وفرحه بما قضى على عبده بالذنب، ثم إذا كان ممن سبقت له العناية قضى له بالتوبة .

الثاني : تعريف العبد عزة الله سبحانه في قضائه ونفوذ مشيئته وجريان حكمه .

الثالث : تعريفه حاجته إلى حفظه وصيانته ، وأنه إن لم يحفظه ويصنعه فهو هالك ولا بد .

الرابع : استجلابه من العبد استعاضته به واستعادته به من عدوه وشر نفسه ودعاءه والتضرع إليه .

الخامس : إرادته من عبده تكميل مقام الذل والانكسار ، فإنه متى شهد صلاحه واستقامته شخ بأنفه وذن أنه وأنه ، فإذا ابتلاه بالذنب تصاغرت عنده نفسه وذلت .

السادس : تعريفه بحقيقة نفسه وأنها الخطالة الجاهلة، وأن كل ما فيها من علم أو عمل أو خير فمن الله، من به عليه لا من نفسه .

السابع : تعريفه عبده سعة حلمه وكرمه في ستره عليه ، فإنه لو شاء لعاجله على الذنب وهتكه بين عباده ، فلم يصف له معهم عيش .

الثامن : تعريفه أنه لا طريق إلى النجاة إلا بعفوه ومغفرته .

التاسع : تعريفه كرمه في قبول توبته ومغفرته له على ظلمه وإساءته .

العاشر : إقامة الحجّة على عبده ، فإن له عليه الحجّة البالغة ، فإن عذبتة فبعده وبعض حقه عليه بل باليسير منه .

الحادي عشر : أن يعامل عباده في إساءتهم إليه وزلاتهم معه بما يجب أن يعامله الله به ، فإن الجزاء من جنس العمل .

الثاني عشر : أن يقيم معاذير الخلائق ، وتتسع رحمته لهم ، مع إقامة أمر الله فيهم .

الثالث عشر : أن يخلع صولة الطاعة والإحسان من قلبه فتتبدل برقة ورأفة ورحمة .

الرابع عشر : أن يعريه من رداء العجب بعمله .

الخامس عشر : أن يعريه من لباس الإدلال الذي يصلح للملوك ، ويلبسه لباس الذل الذي لا يليق بالعبد سواه .

السادس عشر : أنه يوجب له التيقظ والحذر من مصادم العدو ومكائده .

السابع عشر : أنه يرفع عنه حجاب الدعوى ، ويفتح له طريق الفاقة ، فإنه لا حجاب أغلظ من الدعوى ، ولا طريق أقرب من

العبودية . طريق المهجرتين (١٧٣ - ١٧٤) .

٤- ليس في الحديث تحريض على المعصية؛ ولكن فيه تبشير بالمغفرة وإزالة لشدة الخوف واليأس من النفوس .

٥- الله -تعالى- يحب التوبة والإنابة .

٦- من علامات التوفيق إذ أذنب العبد أن يبادر إلى التوبة .

٧- فضل الاستغفار ، وأنه يمحو الذنوب .

كما قال تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) .

وفي الحديث القدسي (قال الله: من يستغفري فأغفر له ..) متفق عليه .

وفي الحديث الآخر (فاستغفروني أغفر لكم) رواه مسلم.

٣٠٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ

الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَاحِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وَقَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ

طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) . ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ

حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغَدَى بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ) .

=====

(طيب) اسم من أسماء الله ومعناه المنزه عن النقائص .

(لا يقبل إلا طيباً) أي من الأعمال إلا أطيها وأخلصها .

(أغبر) غير الغبار لون شعره لطول سفره .

١- إثبات اسم من أسماء الله وهو الطيب ، ومعناه المنزه عن العيوب والنقائص .

٢- أن الله لا يقبل من الأعمال والأقوال والأموال إلا الطيب .

في الأعمال والأقوال :

قال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) .

وفي الصدقات :

قال ﷺ (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يقبلها ...) .

٣- كيف يكون العمل طيباً ؟

بإخلاص العمل لله ، وأكل الحلال وعدم أكل الحرام .

٤- أن العمل غير الطيب لا يقبله الله .

٥- وجوب اتباع الرسل .

٦- الأمر بالأكل من الطيبات .

قال تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) .

- وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) .
- وقال سبحانه (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه) .
- ٧- الحث على العمل الصالح .
- والعمل الصالح أمر الله وحث عليه .
- قال تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ...) .
- والعمل الصالح هو الذي يدخل مع الإنسان في قبره .
- قال ﷺ : (يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ويبقى عمله) متفق عليه .
- والعمل الصالح هو الحسب الحقيقي .
- قال ﷺ : (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) رواه مسلم .
- والعمل الصالح هو ما يتمناه المحتضر .
- قال تعالى : (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ..) .
- قال تعالى : (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) .
- ٨- أن شكر النعم يكون بالقول والعمل ، وليس بالقول فقط .
- وقد كان ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فتقول له عائشة: قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً .
- ٩- في هذا الحديث ذكر بعض أسباب إجابة الدعاء :
- طول السفر :
- وقد قال ﷺ : (ثلاث دعوات مستجابات : ... وذكر منها : دعوة المسافر) .
- الأشعث الأغر .
- وقال ﷺ : (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) .
- رفع اليدين .
- قال ﷺ : (إن الله ليستحي من عبده إذا رفع يديه إلى السماء أن يردهما صفراً) .
- ١٠- ذكر في الحديث مانعاً من مواعيد إجابة الدعاء وهو أكل الحرام .
- وقد قال ﷺ : (يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة) .
- ١١- إثبات علو الله .
- وهو ينقسم إلى قسمين :
- الأول : علو صفة : وهذا متفق عليه بين جميع أهل القبلة .
- فصفات الله كلها عليها وحسنى .
- الثاني : علو ذات . وهذا متفق عليه عند أهل السنة .
- وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع :
- قال تعالى : (وهو العلي العظيم) . وقال تعالى : (وهو العلي الكبير) .
- وقال تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم) . وقال سبحانه : (وهو القاهر فوق عباده) .
- وقال سبحانه : (إليه يصعد الكلم الطيب) . وقال سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر ...) .
- وقال ﷺ : (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء) .

٣٠٩- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ) .

=====

(الملائكة) عالم غيبي خلقهم من نور ووظيفتهم عبادة الله .

(الجان) الجن .

(المارج) اللهب المختلط بسواد النار .

(وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ) أي: مما أعلمكم به، أي: من تراب صُيِّرَ طينا، ثم فُخَّرا، كما أخبرنا به تعالى في غير موضع من كتابه. والفخار: الطين اليابس، وفي الخبر: إن الله تعالى لما خلق آدم أمر من قبض قبضة من جميع أجزاء تراب الأرض، فأخذ من حزنها وسهلها، وأحمرها وأسودها، فجاء ولده كذلك .

١- الحديث دليل على أن الملائكة خلقت من نور .

أما وقت خلقهم : فالله أعلم بوقتِ خَلْقِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُ قَطَعًا سَابِقٌ عَلَى خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

بدليل قول الله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) .

قال القُرطبي : المعنى بالخليفة هنا - في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل - آدم عليه السلام .

٢- وقد جاء في صفة الملائكة، وكثرهم أحاديث :

منها: ما أخرجه مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- مرفوعاً: "خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ... " الحديث .

ومنها: ما أخرجه الترمذي، وابن ماجه، والبخاري، من حديث أبي ذرّ -رضي الله عنه- مرفوعاً: "أُطِّتِ السَّمَاءُ، وَحُقِّ لَهَا أَنْ تَحِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعَ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ، سَاجِدٌ ... " الحديث .

ومنها: ما أخرجه الطبراني من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً: "ما في السماوات، السبع موضع قدم، ولا شبر، ولا كفّ إلا وفيه ملك قائم، أو راکع، أو ساجد ، وللطبراني نحوه من حديث عائشة -رضي الله عنها- .

وذكر في "ربيع الأبرار" عن سعيد بن المسيّب قال: الملائكة ليسوا ذكوراً ولا إناثاً، ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يتوالدون .

قال الحافظ: وفي قصة الملائكة مع إبراهيم وسارة ما يؤيد أنهم لا يأكلون .

وأما ما وقع في قصة الأكل من الشجرة أنها شجرة الخلد التي تأكل منها الملائكة، فليس بثابت .

٣- الحديث دليل على أن الجن مخلوقون من نار .

٤- الحديث دليل على إبليس ليس من الملائكة :

وقد استدل من قال إن إبليس ليس من الملائكة بل هو من الجن بأدلة :

أ- بقوله تعالى (... إِلَّا إبليس كان من الجن) .

والجن غير الملائكة ، وهذا نص قرآني صريح في محل النزاع .

ب- ولأن الملائكة معصومين من ارتكاب الكفر الذي ارتكبه إبليس كما قال تعالى عنهم (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) .

ج-ولحديث الباب (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من مارح من نار) .

القول الثاني : إن أصله كان من الملائكة .

ونسب هذا القول القرطبي لجمهور العلماء .

واستدلوا بقوله تعالى (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) قالوا فأخراجه بالاستثناء منهم دليل على أنه منهم .

- قال الماوردي : ومن قالوا بهذا اختلفوا في معنى قوله تعالى (كان من الجن) على ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما قاله قتادة أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجن .

الثاني : ما قاله ابن عباس ، أنه كان من الملائكة من خزان الجنة ومدير أمر السماء الدنيا فلذلك قيل من الجن لخزانة الجنة ، كما يقال مكى وبصري .

الثالث : أن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار وإبليس منهم، وخلق سائر الملائكة من نور، قاله سعيد من جببر، قاله الحسن : خلق إبليس من نار وإلى النار يعود .

والراجع القول الأول .

٥-تنبيه على عظيم قدرة الله -تعالى .

٦-بيان أصل تكوين خلقة الملائكة والجن والإنسان .

تنبيه :

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى "وأما ما رواه عبد الله بن أحمد في " السنة " (ص ١٥١) عن عكرمة قال: خلقت الملائكة من نور العزة، وخلق إبليس من نار العزة .

وعن عبد الله بن عمرو قال : خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر .

قلت: فهذا كله من الإسرائيليات التي لا يجوز الأخذ بها، لأنها لم ترد عن الصادق المصدوق عليه السلام .

٣١٠-عَنْ أَنَسٍ قَالَ (صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ فَإِنِّي أَرَأُكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي - ثُمَّ قَالَ - وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » قَالُوا وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ) .

=====

(صلى بنا ذات يوم) أي في يوم من الأيام .

(ولا بالانصراف) أي بالسلام ، والمعنى لا تبادروني بالسلام للخروج من الصلاة .

١-أن الإمام إنما جعل ليؤتم به ، فلا يجوز مسابقتة .

قال ابن قدامة: ولا يجوز أن يسبق إمامه .

وقال ابن تيمية: أما مسابقة الإمام فحرام باتفاق الأئمة لا يجوز لأحد أن يركع قبل إمامه ولا يرفع قبله ولا يسجد قبله .

وقال ابن رجب: وفيه: دليل صريح على تحريم تعمد رفع المأموم رأسه قبل الإمام في ركوعه وسجوده؛ فإنه توعد عليه بالمسح، وهو من أشد العقوبات .

لحديث الباب :

ومما يدل على تحريم مسابقة الإمام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ (أَمَّا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ أَوْ يَجْعَلَ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ ؟) متفق عليه .

٢ - وقد اختلف العلماء في حكم صلاة من سبق إمامه، وهذه المسألة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول: أن يسبقه بتكبيرة الإحرام.

فهذا لا تنعقد صلاته.

قال الشافعي: من أحرم قبل الإمام فصلاته باطلة.

وهذا باتِّفاقِ المذاهبِ الفقهيَّةِ الأربعة: الحنفيَّة، والمالكيَّة، والشافعيَّة، والحنابليَّة.

قال النووي: ... فَيُكَبِّرُ تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ بَعْدَ فَرَاغِ الْإِمَامِ مِنْهَا، فَإِنَّ شَرَعَ فِيهَا قَبْلَ فَرَاغِ الْإِمَامِ مِنْهَا لَمْ تَنْعَقِدْ صَلَاتُهُ.

أ-لقوله رضي الله عنه (إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا).

وجه الدلالة: أَنَّ قَوْلَهُ (إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ) دَلٌّ عَلَى أَنَّ الْإِتِّمَامَ لَا يَتَحَقَّقُ إِذَا لَمْ يُكَبِّرِ الْإِمَامُ، أَوْ إِذَا لَمْ يَنْتَهَ مِنَ التَّكْبِيرِ؛ لِأَنَّهُ نَوَى الْإِقْتِدَاءَ بِمَنْ لَمْ يَصِرْ إِمَامًا بَلْ بِمَنْ سَيَصِيرُ إِمَامًا إِذَا فَرَغَ مِنَ التَّكْبِيرِ.

ب-ولقوله (فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا) فِيهِ أَمْرُ الْمَأْمُومِ بِأَنْ يَكُونَ تَكْبِيرُهُ عَقَبَ تَكْبِيرِ الْإِمَامِ.

ج- ولأنَّ معنى الاقتداء، وهو البناء، لا يُتصوَّرُ هَاهُنَا؛ لِأَنَّ الْبِنَاءَ عَلَى الْعَدَمِ مُحَالٌ.

القسم الثاني: أن يسبق الإمام إلى ركن من الأركان كالركوع والسجود عمداً علماً بالحكم.

فهذه اختلف العلماء في صحة الصلاة على قولين:

القول الأول: أنها باطلة.

قال بطلانها أحمد في رواية عنه، وأهل الظاهر، ورجحه الشيخ ابن عثيمين.

أ-لحديث الباب .

ب- وللحديث السابق (... أن يحول صورته صورة حمار) .

فلو كانت له صلاة لرجى له الثواب ولم يخف عليه العقاب أن يحول الله رأسه رأس حمار.

ج- علل ابن تيمية: أن هذا زاد في الصلاة عمداً فتبطل، كما لو فعل قبله ركوعاً أو سجوداً عمداً فإن الصلاة تبطل بلا ريب.

القول الثاني: تصح صلاته مع الإثم.

وهذا قول الجمهور.

قال ابن رجب: وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ.

وقال ابن حجر: الجمهور على أن فاعله يأثم وتجزئ صلاته.

علل النووي ذلك بقوله: بأنها مخالفة يسيرة فلا تبطل الصلاة بها.

والراجح الأول.

القسم الثالث: أن يسبق إمامه ساهياً أو جاهلاً.

فصلاته صحيحة.

لكن هل يجب عليه أن يرجع ليأتي به بعده أم يستحب؟

قولان: أحدهما أنه يجب أن يرجع ليأتي به بعد الإمام.

وهذا مذهب المالكية، والحنابلة.

لأنه فعله في غير محله، لأن ما قبل فعل الإمام ليس وقتاً لفعل المأموم، فصار بمنزلة من صلى قبل الوقت، أو بمنزلة من كبر قبل تكبير الإمام. ... (ابن تيمية). ... (أحكام الإمام والائتمام).

٣ - حالات المأموم مع إمامه :

الأولى: المسابقة.

وسبق أنها حرام.

الثانية: المتابعة.

وهي أن يشرع الإنسان في أفعال الصلاة بعد إمامه مباشرة.

وهذه هي السنة.

لقوله ﷺ (... وإذا ركع فاركعوا ...) أي: بعد ركوعه.

الثالثة: الموافقة (المقارنة).

وهذه تنقسم إلى قسمين:

أولاً: أن يوافق في تكبيرة الإحرام.

جمهور العلماء على أن من وافق الإمام في تكبيرة الإحرام لم تنعقد صلاته.

وزهد الحنفية إلى انعقاد صلاته، والصحيح الأول.

الثاني: أن يوافق في غير تكبيرة الإحرام، كأن يركع مع إمامه أو يسجد معه.

وهذه مكروهة.

وهذا قول أكثر العلماء.

وقد جاء عند أبي داود زيادة في حديث (إذا ركع فاركعوا ...) (فإذا كبر فكبروا ولا تكبروا حتى يكبر)، وكذا قال في الرُّكُوع

«وَلَا تَرْكَعُوا حَتَّى يَرْكَعَ» وَقَالَ فِي السُّجُودِ (وَلَا تَسْجُدُوا حَتَّى يَسْجُدَ) .

قال العراقي: وَفَائِدَةٌ هَذِهِ الزِّيَادَةُ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ نَفْيُ احْتِمَالِ إِزَادَةِ الْمُقَارَنَةِ

وقال ابن حجر رحمه الله " زَادَ أَبُو دَاوُدَ (وَلَا تَرْكَعُوا حَتَّى يَرْكَعَ، وَلَا تَسْجُدُوا حَتَّى يَسْجُدَ) وَهِيَ زِيَادَةٌ حَسَنَةٌ تَنْفِي احْتِمَالِ إِزَادَةِ

الْمُقَارَنَةِ مِنْ قَوْلِهِ (إِذَا كَبَّرَ فَكَبَرُوا ...).

لَكِنَّ رِوَايَةَ أَبِي دَاوُدَ هَذِهِ صَرِيحَةٌ فِي انْتِفَاءِ التَّقَدُّمِ وَالْمُقَارَنَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (الفتح).

وفي (عمدة القاري) ورِوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ تَصْرَحُ بِانْتِفَاءِ التَّقَدُّمِ وَالْمُقَارَنَةِ.

قال ابن قدامة رحمه الله تعالى: والمستحب أن يكون شروع المأموم في أفعال الصلاة؛ من الرفع والوضع، بعد فراغ الإمام منه،

ويكره فعله معه في قول أكثر أهل العلم.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: الموافقة في الأفعال وهي مكروهة، وقيل: إنها خلافُ السُّنَّةِ، ولكن الأقربُ الكراهةُ.

مثال الموافقة: لما قال الإمام: «الله أكبر» للرُّكُوعِ، وشرع في الهوي هويت أنت والإمام سواء، فهذا مكروه؛ لأنَّ الرسول عليه

الصلاة والسلام قال: «إذا ركع فاركعوا، ولا تركعوا حتى يركع» وفي السُّجُودِ لما كَبَّرَ للسُّجُودِ سجدت، ووصلت إلى الأرض أنت

وهو سواء، فهذا مكروه؛ لأنَّ الرَّسُولَ - صلى الله عليه وسلم - نهي عنه، فقال: «لا تسجدوا حتى يسجد» قال البراء بن

غازب: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا قال: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمَدَهُ» لم يَحْنِ أَحَدٌ مَنَّا ظَهْرُهُ حَتَّى يَقَعَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - سَاجِداً، ثُمَّ نَقَعُ سَجُوداً بَعْدَهُ. (الشرح الممتع).

قال ابن الملقن في شرح حديث الباب: هذا الحديث دال بمنطوقه على عدم المسابقة، وبمفهومه على جواز المقارنة، ولا شك فيه لكن يكره، ويفوت به فضيلة الجماعة.

الرابعة: التخلف.

وهو ينقسم إلى قسمين: ١ - تخلف بعذر. ٢ - تخلف بغير عذر.

أ- إذا كان بعذر:

فإنه يأتي بما تخلف به ويتابع الإمام، إلا أن يصل الإمام إلى المكان الذي هو فيه فإنه لا يأتي به ويبقى مع الإمام وتصبح له ركعة ملققة من ركعتي إمامه (الركعة التي تخلف فيها - الركعة التي وصل إليها الإمام وهو في مكانه).

ب- التخلف لغير عذر:

اختلف العلماء على قولين:

قيل: لا تبطل صلاته.

وقيل: تبطل.

لقوله ﷺ (إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ).

ومعناه: أنَّ الائتِمامَ يقتضي متابعة المأموم لإمامه؛ فلا يجوز له المقارنة والمساابقة والمخالفة. ورجحه الشيخ ابن عثيمين.

قال الشيخ ابن عثيمين: النوع الثاني: التخلف لغير عذرٍ.

إما أن يكون تخلفاً في الركن، أو تخلفاً بركنٍ.

فالتخلف في الركن معناه: أن تتأخر عن المتابعة، لكن تدرك الإمام في الركن الذي انتقل إليه، مثل: أن يركع الإمام وقد بقي عليك آية أو آيتان من السورة، وبقيت قائماً تكمل ما بقي عليك، لكنك ركعت وأدركت الإمام في الركوع، فالركعة هنا صحيحة، لكن الفعل مخالف للسنة؛ لأنَّ المشروع أن تشرع في الركوع من حين أن يصل إمامك إلى الركوع، ولا تتخلف؛ لقول النبي ﷺ (إِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا).

والتخلف بالركن معناه: أن الإمام يسبقك بركن، أي: أن يركع ويرفع قبل أن تركع. فالفقيهاء رحمهم الله يقولون: إذا تخلفت بالركوع

فصلائتُك باطلة كما لو سبقته به، وإن تخلفت بالسجود فصلائتُك على ما قال الفقهاء صحيحة؛ لأنه تخلف بركن غير الركوع.

ولكن القول الراجح أنه إذا تخلف عنه بركن لغير عذر فصلائته باطلة، سواء كان الركن ركوعاً أم غير ركوع. وعلى هذا؛ لو أن

الإمام رفع من السجدة الأولى، وكان هذا المأموم يدعو الله في السجود فبقي يدعو الله حتى سجد الإمام السجدة الثانية فصلائته

باطلة؛ لأنه تخلف بركن، وإذا سبقه الإمام بركن فأين المتابعة؟

فائدة:

الموافقة في الأقوال لا تضر إلا في تكبيرة الإحرام والسلام.

أما في تكبيرة الإحرام؛ فإنك لو كثرت قبل أن يُمِّمَ الإمام تكبيرة الإحرام لم تنعقد صلاتك أصلاً؛ لأنه لا بُدَّ أن تأتي بتكبيرة

الإحرام بعد انتهاء الإمام منها نهائياً.

وأما الموافقة بالسَّلام، فقال العلماء: إنه يُكره أن تسلّم مع إمامك التسليمة الأولى والثانية، وأما إذا سلّمت التسليمة الأولى بعد التسليمة الأولى، والتسليمة الثانية بعد التسليمة الثانية، فإنّ هذا لا بأس به، لكن الأفضل أن لا تسلّم إلا بعد التسليمتين. وأما بقية الأقوال: فلا يؤثّر أن توافق الإمام، أو تتقدّم عليه، أو تتأخّر عنه، فلو فرض أنك تسمع الإمام يتشهد، وسبقته أنت بالتشهد، فهذا لا يضرّ لأن السُّبُق بالأقوال ما عدا التَّحريمِ والتسليم ليس بمؤثّر ولا يضرّ، وكذلك أيضاً لو سبقته بالفاحة فقرأت (ولا الضالين) وهو يقرأ (إياك نعبد وإياك نستعين) في صلاة الظهر مثلاً، لأنه يُشرع للإمام في صلاة الظهر والعصر أن يُسمع النَّاسَ الآيةَ أحياناً كما كان الرسول ﷺ يفعل. (ابن عثيمين)

٤- أن المشروع للإمام أن يلتفت للمصلين بعد سلامه .

٥- معجزة ظاهرة للنبي ﷺ في رؤيته لمن خلفه في الصلاة .

وقد اختلف في معنى (إني لأبصر من ورائي):

فقبيل: المراد بما العلم، إما بأن يوحى إليه كيفية فعلهم وإما أن يلهم.

قال الحافظ: وفيه نظر، لأن العلم لو كان مراداً لم يقيده بقوله: من وراء ظهري.

وقيل: المراد أن يرى من عن يمينه ومن عن يساره من تدركه عينه مع التفات يسيرة في النادر، ويوصف من هناك وراء ظهره، قال الحافظ: وهو ظاهر التكلف، وفيه عدول عن الظاهر بلا موجب.

والصواب المختار أنه محمول على ظاهره، وأن هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به ﷺ انخرقت له فيه العادة، وعلى هذا عمل البخاري، فأخرج هذا الحديث في علامات النبوة.

والظاهر أن هذا خاص بحال الصلاة فقط.

قال الألباني: قوله (أراكم من وراء ظهري) في الحديث معجزة ظاهرة للنبي ﷺ وهي رؤيته ﷺ من ورائه، و لكن ينبغي أن يعلم أنّها خاصة في حالة كونه ﷺ في الصلاة، إذ لم يرد في شيء من السنة، أنه كان يرى كذلك خارج الصلاة أيضاً.

٦- جواز الحلف من غير استحلاف .

٧- أن الجنة والنار موجودتان الآن [وقد سبقت الأدلة] .

٨- إثبات الجنة والنار .

٩- أن معرفة الله حقيقة توجب البكاء والخوف .

١٠- كلما كان الإنسان أعلم بالله كان منه أخوف ، ولذلك من صفات العالم الرباني : الخشية والخوف .

٣١١- عن أمّ شريكٍ أنّها سمعت النبي ﷺ يقولُ (لَيَفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجَبَالِ) قَالَتْ أُمُّ شَرِيكِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ قَالَ : هُمْ قَلِيلٌ) .

=====

(لَيَفِرَنَّ) بنون التوكيد، واللام للقسم؛ أي: والله ليهربن

(النَّاسُ) أي: المؤمنون .

(مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجَبَالِ) فراراً من فتنته .

(قَالَتْ أُمُّ شَرِيكِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ قَالَ : هُمْ قَلِيلٌ) أي : فلا يقدرّون عليه .

١- الحديث دليل على شدة فتنة الدجال .

٢- الحديث دليل على أن السلامة من الفتن الهرب منها وعدم التعرض لها .

عن عمران . قال : قال ﷺ (مَنْ سَمِعَ بِالذَّجَالِ فَلْيَنْتَهِ عَنَّهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ) رواه أبو داود .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ (ستكون فتن، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، مَنْ تَشَرَّفَ لها تَشَرَّفَ؛ فَمَنْ وَجَدَ فيها ملجأً أو معاداً، فَلْيَعُدْ به) وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ (يوشك أن يكون خيرَ مالِ المسلم غنمٌ يتَّبَعُ بها شَعَفَ الجبالِ ومواقعَ القطرِ؛ يَفرُّ بدينه من الفتن) رواه البخاري .

ج- وعن المِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: أَيُّمُ اللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهَا) رواه أبو داود.

د- وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ (بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ، فَقَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَمُتُّ إِلَيْهِ، فَمُتُّ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: الزُّمُّ بَيْنَتِكَ، وَأَمْلِكُ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ مِمَّا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ حَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ) رواه أبو داود.

وقد مدح الله من فر بدينه من الفتن .

قال تعالى (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ).

وقال تعالى (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَعْفِفُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا. وَأَعْتَزَلْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدَعَاءِ رَبِّي شَاقِيًّا).

قال ابن القيم : فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه .

وقال ابن الجوزي : من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة، ومن ادعى الصبر وُكِلَ إلى نفسه.

وقال: إياك إياك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى، مع مقاربة الفتنة، فإن الهوى مكائد.

٣١٢- وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (يَتَّبِعُ الذَّجَالُ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطِّيَالِسَةُ) .

=====

(عَلَيْهِمُ الطِّيَالِسَةُ) جمع طيلسان، وهو ثوب يلبس على الكتف، يحيط بالبدن، ينسج للبس، خال من التفصيل والخياطة، أشبه ما يكون بالشال، بل هو الشال نفسه .

١- الحديث دليل على إثبات الدجال وأن خروجه في آخر الزمان من علامات الساعة . (وقد تقدم ذلك) .

٢- الدجال يخرج من الشرق .

بينت الأدلة الصحيحة أن خروج المسيح الدجال يبدأ من المشرق ، وتحديدًا من إقليم خراسان، بل بالأخص من أصبهان في إقليم خراسان ، وهي من بلاد إيران اليوم :

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (الدَّجَالُ يُخْرَجُ مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ) رواه الترمذي .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (يُخْرَجُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودِيَّةٍ أَصْبَهَانَ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ، عَلَيْهِمُ السِّجَانُ) رواه أحمد .

قال ابن كثير رحمه الله: يكون بدء ظهوره من أصبهان ، من حارة يقال لها : اليهودية .

قال ابن حجر : وأما من أين يخرج ؟ فمن قبل المشرق جزماً .

تنبيه :

قوله (يَتَّبِعُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ) ليس معنى الحديث أن الدجال يبدأ ظهوره من أصبهان، بل معناه أنه حينما يأتي أصبهان يتبعه من يهودها سبعون ألفاً، فلا منافاة بين هذا الحديث وبين حديث أبي بكر الصديق عن خروجه من خراسان.

٣- الحديث دليل على أن أكثر أتباع الدجال من اليهود .

أتباع الدجال :

اليهود :

لحديث الباب (يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة) .

الأعراب :

وإنما يكثر أتباعه من الأعراب؛ لغلبة الجهل عليهم .

ولما جاء في حديث أبي أمامه رضي الله عنه من قوله (وإن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلى بناره فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه برداً وسلاماً، كما كانت النار على إبراهيم، وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: رأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك، وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار، حتى يلقي شقتين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا، فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له ربا غيري! فيبعثه الله، ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم) رواه ابن ماجه، وهو صحيح.

النساء :

وأما النساء فحالهن أشد من حال الأعراب؛ لسرعة تأثرهن، وغلبة الجهل عليهن.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (يَنْزِلُ الدَّجَالُ فِي هَذِهِ السَّبِيحَةِ بِمَرِّ قَنَاةَ، فَيَكُونُ أَكْثَرُ مَنْ يُخْرَجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا، مَخَافَةَ أَنْ تُخْرَجَ إِلَيْهِ) رواه أحمد .

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال (ينزل الدجال في هذه السبيحة بمر قناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه، ثم يسلط الله المسلمين عليه فيقتلونه ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر، فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم: هذا يهودي تختي فاقتله) رواه أحمد بسند صحيح.

ولعظم فتنته يتبعه أكثر أهل الأرض .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وأخرج أبو نعيم في ترجمة حسان بن عطية أحد ثقات التابعين من " الحلية " بسند حسن صحيح إليه قال : (لا ينجو من فتنة الدجال إلا اثنا عشر ألف رجل ، وسبعة آلاف امرأة) وهذا لا يقال من قبل الرأي ، فيحتمل أن يكون مرفوعاً أرسله ، ويحتمل أن يكون أخذه عن بعض أهل الكتاب . (فتح الباري) .
وقد جاء في صحيح مسلم (فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر) .
٣١٣- وعن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ (مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ) .

=====

١- الحديث دليل على خطر فتنة الدجال .

وفتنة الدجال أعظم الفتن منذ خلق الله آدم ، وذلك بسبب ما يجريه الله معه من الخوارق العظيمة ، التي تبهر العقول ، وتخير الألباب :

فقد ورد أن معه جنة و ناراً، وجنته نار، وناره جنة، وأن معه أثمار الماء، وجبال الخبز، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض. ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كسرعة الغيث، استدبرته الريح، إلى غير ذلك من الخوارق، كل ذلك وردت به الأحاديث الصحيحة، محنة من الله واختباراً، ليهلك المرتاب، وينجو المتيقن .
ومما يدل على ذلك :

حديث الباب (مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ ...) .

وفي رواية أحمد عن هشام بن عامر الأنصاري قال سَعَتُ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ (مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ) .

عن أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُنذِرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرُ الْكَذَّابُ إِلَّا إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر) متفق عليه .

وعن جابر . قال : قال ﷺ (ما كانت فتنة، ولا تكون حتى تقوم الساعة - أكبر من فتنة الدجال، ولا من نبي إلا وقد حذرته أُمَّتُهُ، ولأخبرنكم بشيء ما أخبره نبي أُمَّتِهِ قبلي ، ثم وضع يده على عينه، ثم قال: أشهد أن الله ليس بأَعْوَرَ) رواه أحمد .

وعن عمران بن حصين، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيُنَأْ (أي: ليتعد) عَنْهُ، فَوَاللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ)، أَوْ (لَمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ) رواه أبو داود .

وقال ﷺ (خرج الدجال، فلا تحدثن أحد منكم نفسه أنه يذهب ينظر ما معه، فإن الرجل يذهب يريد أن ينظر ما معه، فلا يدري إلا وقد اتبعه) .

٢- قد تقدم كيفية النجاة من فتنته في حديث رقم (٣) (من حفظ عشر آيات ...) .

٣- الحكمة من وجود المعجزات على يد المسيح الدجال :

قَالَ الْإِمَامُ الْخَطَّابِيُّ (رحمه الله) فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُجْرِيَ اللَّهُ الْآيَةَ عَلَى يَدِ الْكَافِرِ، فَإِنَّ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى آيَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، فَكَيْفَ يَنَالُهَا الدَّجَالُ وَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ يَدْعِي الرُّبُوبِيَّةَ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْفِتْنَةِ لِلْعِبَادِ إِذْ كَانَ عِنْدَهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُبْطَلٌ غَيْرٌ مُحَقَّقٌ فِي دَعْوَاهُ، وَهُوَ أَنَّهُ أَعْوَرٌ مَكْتُوبٌ عَلَى جَبْهَتِهِ كَافِرٌ يَفْرُوهُ كُلُّ مُسْلِمٍ فَدَعْوَاهُ دَاحِضَةٌ مَعَ وَسْمِ الْكُفْرِ وَنَقْصِ الدَّاتِ وَالْقَدْرِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ إِلَهًا لَأَزَالَ ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ، وَآيَاتُ الْأَنْبِيَاءِ سَالِمَةٌ مِنَ الْمُعَارَضَةِ فَلَا يَشْتَبِهَانِ .

وقال ابن حجر : وفي الدجال دَلالةٌ بَيِّنَةٌ - لِمَنْ عَقَلَ - على كذبه؛ لِأَنَّهُ ذُو أَجْزَاءٍ مُؤَلَّفَةٍ، وَتَأْثِيرُ الصَّنْعَةِ فِيهِ ظَاهِرٌ مَعَ ظُهُورِ الْأَفَةِ بِهِ مِنْ عَوْرِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا دَعَا النَّاسَ إِلَى أَنَّهُ رُجْمٌ فَأَسْوَأُ حَالٍ مِنْ يَرَاهُ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُسَوِّي خُلُقَ غَيْرِهِ وَيَعْدِلُهُ وَيُحْسِنُهُ وَلَا يَدْفَعُ النَّقْصَ عَن نَفْسِهِ، فَأَقْلُ مَا يَجِبُ أَنْ يَقُولَ: يَا مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ خَالِقُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، صَوِّرْ نَفْسَكَ وَعَدِلْهَا وَأَزِلْ عَنْهَا الْعَاهَةَ، فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ الرَّبَّ لَا يُحْدِثُ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا، فَأَزِلْ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْكَ .

وقال الإمام أبو بكر ابن العربي (رحمه الله): الَّذِي يَظْهَرُ عَلَى يَدِ الدَّجَالِ مِنَ الْآيَاتِ مِنْ إِنْزَالِ الْمَطَرِ وَالْحِصْبِ عَلَى مَنْ يُصَدِّقُهُ، وَالْجُدْبِ عَلَى مَنْ يُكَذِّبُهُ، وَاتِّبَاعِ كُنُوزِ الْأَرْضِ لَهُ، وَمَا مَعَهُ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَمِيَاهٍ تَجْرِي، كُلُّ ذَلِكَ مِحْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاخْتِبَارٌ لِيَهْلِكَ الْمُزْتَابُ، وَيَنْجُو الْمُتَيَقِّنُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ أَمْرٌ مُخَوِّفٌ؛ وَهَذَا قَالَ ﷺ: (لَا فِتْنَةَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ) وَكَانَ يَسْتَعِيدُ مِنْهَا فِي صَلَاتِهِ تَشْرِيحًا لِأَمْتِهِ.

٤-علامات تدل على كذب الدجال :

أولاً: أنه أعور والله تبارك وتعالى ليس بأعور.

لقوله ﷺ (تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ).

ثانياً: أنه يرى في الدنيا، والله لا يرى في الدنيا.

كما في الحديث (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) رواه مسلم.

قال ابن حجر: وفيه تنبيه على أن دعواه الربوبية كذب، لأن رؤية الله تعالى مقيدة بالموثوق، والدجال يدعي أنه الله ويراه الناس مع ذلك.

ثالثاً: مكتوب عليه (كافر) يقرؤها كل مسلم.

عن أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ إِلَّا إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر) متفق عليه.

وفي لفظ (الدجال) مَسْخُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ. ثُمَّ تَمَحَّجَاهَا ك ف ر «يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ».

قال النووي: الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّ هَذِهِ الْكِتَابَةَ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَأَنَّهَا كِتَابَةٌ حَقِيقَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ آيَةً وَعَلَامَةً مِنْ جُمْلَةِ الْعَلَامَاتِ الْقَاطِعَةِ بِكُفْرِهِ وَكَذِبِهِ وَإِبْطَالِهِ، وَيُظْهِرُهَا اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ مُسْلِمٍ كَاتِبٍ وَعَیْرٍ كَاتِبٍ، وَيُخْفِيهَا عَمَّنْ أَرَادَ شَقَاوَتَهُ وَفِتْنَتَهُ، وَلَا إِمْتِنَاعَ فِي ذَلِكَ، وَذَكَرَ الْقَاضِي فِيهِ خِلَافًا: مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هِيَ كِتَابَةٌ حَقِيقَةٌ كَمَا ذَكَرْنَا. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ هِيَ حِجَازٌ وَإِشَارَةٌ إِلَى سِمَاتِ الْخُدُوثِ عَلَيْهِ، وَاحْتِجَّ بِقَوْلِهِ: " يَقْرَأُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَعَیْرٍ كَاتِبٍ "، وَهَذَا مَذْهَبٌ ضَعِيفٌ.

٣١٤- وعن حَفْصَةَ. أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضَبِي يَغْضِبُهَا ؟) .

=====

٧-أما أول ظهوره فبسبب غضبة يغضبها ثم تبدأ فتنته :

لحديث الباب (إنما يخرج من غضبة يغضبها) .

(إِنَّمَا يَخْرُجُ)؛ أي: الدجال الموعود به آخر الزمان، (مِنْ غَضَبِي)؛ أي: أجل غضبة، يتحلل بها سلسله، (يَغْضِبُهَا) أي: إنه يغضب غضبة، فيخرج بسبب غضبه، والقصد الإشعار بشدة غضبه، حيث أوقع خروجه على الغضبة، وهي المرة من الغضب.

والحديث له قصة :

عَنْ نَافِعٍ، قَالَ (لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ، فَانْتَفَحَ، حَتَّى مَلَأَ السِّكَّةَ، فَدَحَلَ ابْنُ

عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ، وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ ، لَهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، مَا أَرَدْتَ مِنْ ابْنِ صَائِدٍ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : "إِنَّمَا يُخْرَجُ مِنْ غَضَبِي يَعْضُبُهَا" ؟ .

٢-علامات قبل خروجه :

قلة العرب .

لحديث أم شريك - وقد تقدم - (... هم قليل) .

نسيان ذكره .

جاء في الحديث (لا يَخْرُجُ الدَّجَالُ حَتَّى يَذْهَلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَحَتَّى تَتْرُكَ الْأُمَّةُ ذِكْرَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ) .

الجوع الشديد :

قال ﷺ (وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَالِ ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ شِدَادٍ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ ...) .

السنون الخداعة التي تنقلب فيها الموازين، وتتنكس فيها المعايير .

قال ﷺ (إِنْ أَمَامَ الدَّجَالِ سَنِينَ خَدَاعَةٍ، يُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُحَوِّنُ فِيهَا الْأَمِيرُ، وَيُؤَمِّنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ ، قِيلَ : وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ : فُؤَيْسِقٌ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ) رواه أحمد .

قال الحافظ ابن كثير (وهذا إسناد جيد قوي، تفرَّد به أحمد من هذا الوجه).

زمانه زمان فرقة واختلاف .

قال ﷺ (إِنَّ الْأَعْوَرَ الدَّجَالَ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ يُخْرَجُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فِي زَمَانٍ اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَفُرْقَةٍ) رواه ابن حبان .

خروج الدجالين الكذابين .

قال ﷺ (لِيَكُونَ قَبْلَ الْمَسِيحِ الدَّجَالُ كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، أَوْ أَكْثَرُ) رواه أحمد .

٣١٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ) .

=====

١-الحديث دليل على إثبات القدر .

والقدر : ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد ، وأنه عز وجل قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل

أن تكون في الأزل ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وعلى صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب

ما قدرها .

قال ابن تيمية رحمه الله: هو علمُ الله وكتابه وما طابق ذلك من مشيئته وخلقته .

وقال ابن القيم رحمه الله: هو علمُ الله وقدرته وكتابه ومشيئته .

وقال السَّفَارِينِيُّ رحمه الله: "القدر عند السَّلَف: ما سبق به العلم، وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عز وجل قدر

مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل .

٢-الفرق بين القضاء والقدر :

ذهب بعض العلماء إلى أن القضاء والقدر مترادفان

وهذا موافق لقول بعض أئمة اللغة الذين فسروا القدر بالقضاء

وذهب آخرون من العلماء إلى التفريق بينهما.

فذهب بعضهم إلى أن القضاء سابق على القدر.

فالقضاء هو ما علمه الله وحكم به في الأزل ، والقدر هو وجود المخلوقات موافقة لهذا العلم والحكم.

قال ابن حجر : قال العلماء : القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل ، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفصيله " انتهى .

وقال في موضع آخر : القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل ، والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل " انتهى .

وقال ابن عثيمين : ولهذا نقول: إن القضاء والقدر متباينان إن اجتماعاً، ومترادفان إن تفرقاً؛ على حد قول العلماء: هما كلمتان: إن اجتمعتا افتترقتا، وإن افتترقتا اجتمعتا.

فإذا قيل: هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا جميعاً؛ فلكل واحد منهما معنى.

فالتقدير: هو ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه.

وأما القضاء؛ فهو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقاً .

٢- أدلة ثبوت القضاء والقدر .

قال تعالى (وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) .

وقال تعالى (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ).

وقوله تعالى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا).

وَقَالَ تَعَالَى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا).

وحديث الباب (إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة) .

وهو أحد أركان الإيمان الستة :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) . قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجَبْنَا لَهُ بِشَأْنِهِ وَبِصِدْقِهِ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) رواه مسلم .

وعن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه) رواه الترمذي .

وعن ابن عمر . قال : قال رسول الله ﷺ (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز) رواه مسلم .

العجز: هو عدم القدرة، وقيل هو ترك ما يجب فعله والتسوية به وتأخيره عن وقته، والكيس ضد العجز، وهو النشاط والحذق بالأمر، ومعناه أن العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه . (نووي) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بالقدر) رواه أحمد .

قال النووي: وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد من السلف والخلف؛

على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى .

وقال ابن حجر: ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى .

٣- الإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور :

أولاً : الإيمان بعلم الله الشامل .

معناه : الإيمان بأن الله تعالى قد علم بعلمه الأزلي الأبدي ما كان وما يكون من صغير ، وكبير ، وظاهر ، وباطن مما يكون من أفعاله أو أفعال مخلوقاته .

دليل هذه المرتبة :

قال تعالى : (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) .

وقال تعالى : (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) .

ثانياً : أن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء .

ومعناه : الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ، فما من شيء كان أو يكون إلا وهو مكتوب مقدر قبل أن يكون .

ودليل هذه المرتبة :

قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) .

ولحديث الباب (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة) .

وهناك آية فيها دليل لكلا المرتبتين :

قال تعالى (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير) .

ثالثاً : كل شيء بمشيئة الله .

ومعناه : الإيمان بمشيئة الله وأنها عامة في كل شيء ، فما وجد موجود ، ولا عدم معدوم من صغير ، وكبير ، وظاهر ، وباطن ، في السموات والأرض إلا بمشيئة الله سواء كان ذلك من فعله تعالى أم من فعل مخلوقاته

ودليل هذه المرتبة :

قوله تعالى (ويفعل الله ما يشاء) .

رابعاً : أن الله خالق كل شيء .

ومعناه : الإيمان بخلق الله تعالى ، وأنه خالق كل شيء من صغير ، وكبير ، وظاهر ، وباطن ، وأن خلقه شامل لأعيان هذه المخلوقات وصفاتها وما يصدر عنها من أقوال وأفعال وآثار .

دليل هذه المرتبة :

قال تعالى : (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) .

وقال تعالى (والله خلقكم وما تعملون) .

٤- الكتابة أنواع:

الأول: الكتابة في اللوح المحفوظ .

وهي المذكورة في حديث الباب ، وهي الكتابة في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض.

الثاني: الكتابة العمرية عند تخليق النطفة في الرحم .

فيكتب إذ ذاك ذكورها أو أنوثتها ، والأجل والعمل والشفاعة والسعادة والرزق .

كما في حديث عبد الله بن مسعود: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْعَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكُتِبَ رِزْقُهُ ، وَأَجَلُهُ ، وَعَمَلُهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ) رواه البخاري ومسلم .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: (وَكَلَّ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ نُطْفَةُ أَيُّ رَبِّ عِلْقَةُ أَيُّ رَبِّ مُضْعَةٌ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَفْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ أَيُّ رَبِّ أَدَكَّرَ أَمْ أَنْثَى أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ فَمَا الأَجَلُ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ) رواه البخاري ومسلم .

قال ابن رجب رحمه الله بعد ذكر طائفة من أحاديث الباب ورواياته : وبكل حال، فهذه الكتابة التي تُكتب للجنين في بطن أمه غير كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق المذكورة في قوله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا). ثم توسع في ذكر النصوص الواردة في الباب.

وقال ابن القيم رحمه الله : وهذا تقدير بعد التقدير الأول السابق على خلق السماوات والأرض، وبعد التقدير الذي وقع يوم استخراج الذرية بعد خلق أبيهم آدم .

الثالث: الكتابة الحولية ، أو التقدير الحولي في ليلة القدر .

يقدر فيها كل ما يكون في السنة إلى مثله. قال تعالى: (حم) . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) . وهذه هي ليلة القدر قطعاً؛ لقوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) .

قال مجاهد: ليلة القدر ليلة الحكم. وقال سعيد بن جبير: يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم ، فلا يغادر منهم أحد ، ولا يزداد فيهم ولا ينقص منهم.

٥- من أعظم النعم الرضاء بالقضاء والقدر ، فإن الرضاء بالقضاء والقدر يوجب القناعة بما آتاه الله .

كما قال ﷺ (قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافاً ، وقنع الله بما آتاه) رواه مسلم .

قال عمر : ما أصابني مصيبة إلا وجدت فيها ثلاث نعم ، الأولى : أنها لم تكن في ديني ، الثانية : أنها لم تكن أعظم مما كانت ، الثالثة : أن الله يعطي عليها الثواب العظيم والأجر الكريم .

وقد قيل : القناعة كنز لا يفنى .

٦- فمن فوائد الإيمان بالقدر :

أولاً : تكميل الإيمان بالله

فإن القدر قدر الله - عز وجل - فالإيمان به من تمام الإيمان بالله . عز وجل ..

ثانياً: استكمال لأركان الإيمان

لأن النبي ﷺ ذكره ضمن الإيمان في حديث جبريل.

ثالثاً: أن الإنسان يبقى مطمئناً

لأنه إذا علم أن هذا من الله رضي واطمأن وعرف أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقد قلنا: إنه لا يمكن

أن يغير الشيء عما ٢٦ قع أبداً، فلا تحاول، ولا تفكر، ولا تقل : (لو)، فالذي وقع لا يمكن أن يتغير أو يتحول.
رابعاً: أن هذا من تمام الإيمان بربوبية الله .

وهذا يشبه الفائدة الأولى، لأن الإنسان إذا رضي بالله رباً استسلم لقضائه وقدره واطمأن إليه.

خامساً: إن الإيمان بالقدر على وجه الحقيقة يكشف للإنسان حكمة الله - عز وجل - فيما يقدره من خير أو شر، ويعرف به أن وراء تفكيره وتخيالاته من هو أعظم وأعلم، ولهذا كثيراً ما نعمل الشيء أو كثيراً ما يقع الشيء فنكرهه وهو خير لنا. فأحياناً يشاهد الإنسان رأي العين أن الله يعسر عليه أمرًا يريد، فإذا حصل ما حصل وجد أن الخير في عدم حدوث ذلك الشيء. وما أكثر ما نسمع أن فلاناً قد حجز في الطائرة الفلانية على أنه سيسافر، ثم يأتي فيجد أن الطائرة قد أقلعت، وفاته السفر، فإذا بالطائرة يحصل عليها حادث. فهو عندما حضر أولاً ليركب فيها ووجد أنها أقلعت يحزن، لكن عندما يقع الحادث يعرف أن هذا خير له، ولهذا قال الله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) .

٧- جاء في حديث عمر عند مسلم قوله (وأن تؤمن بالقدر خيره وشره) فهل في القدر شر؟

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: ليس في القدر شر، وإنما الشر في المقدور، يعني ليس فعل الله وتقديره شرًا، الشر في مفعولات الله لا في فعله، والله لم يقدر هذا الشر إلا للخير.

كما قال تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) هذا بيان سبب الفساد.

وأما الحكمة فقال (ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)، إذا هذه مصائب مألها للخير.

٨- لا يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي .

وقد دل على فساد الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الطاعات ؛ الشرع والعقل ، فمن الأدلة الشرعية:

أ- قول الله تعالى (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَاقُوا بِأَسَنَاتِهِمْ هَلْ عَنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) .

فهؤلاء المشركون احتجوا بالقدر على شركهم ، ولو كان احتجاجهم مقبولاً صحيحاً ما أذاقهم الله بأسه . فمن احتج بالقدر على الذنوب والمعائب فيلزمه أن يصحح مذهب الكفار ، وينسب إلى الله الظلم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ب- أن الله تعالى قال (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَالٍ لَكُمْ لَوْلَا يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) ولو كان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي سائغاً لما كان هناك حاجة إلى إرسال الرسل، لأنهم إنما أرسلوا لأجل إقامة الحجة على الناس.

ج- أنه يترتب على الاحتجاج بالقدر على الذنوب تعطيل الشرائع والحساب والمعاد والثواب والعقاب.

د- لو كان القدر حجة لأهل المعاصي لاحتج به أهل النار ، إذا عاينوها ، وظنوا أنهم مواقعوها ، كذلك إذا دخلوها ، وبدأ تويخهم وتقريعهم ، لكن الواقع أنهم لم يحتجوا به ، بل إنهم يقولون كما قال الله عز وجل عنهم : (رَبَّنَا أَخْرِزْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرِّسَالَ) ويقولون : (ربنا غلبت علينا شقوتنا) .

وقالوا : (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) و (قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) ، إلى غير ذلك مما يقولون.

ه- ولو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغاً لاحتجوا به ؛ فهم في بأمس الحاجة إلى ما ينقذهم من نار جهنم.

و- لو كان الاحتجاج بالقدر صحيحاً لكان حجة لإبليس الذي قال : (قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) ، ولتساوى فرعون عدو الله ، مع موسى كليم الله عليه السلام.

ومما يرد هذا القول ، ويبين فساده : أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه في أمور ديناه حتى يدركه ، ولا تجد شخصا يترك ما يصلح أمور ديناه ويعمل بما يضره فيها بحجة القدر فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟! وإليك مثلاً يوضح ذلك : لو أن إنساناً أراد السفر إلى بلد ، وهذا البلد له طريقان ، أحدهما آمن مطمئن ، والآخر كله فوضى واضطراب ، وقتل ، وسلب ، فأيهما سيسلك ؟

لاشك أنه سيسلك الطريق الأول ، فلماذا لا يسلك في أمر الآخرة طريق الجنة دون طريق النار ؟ لو قبلنا هذا الاحتجاج الباطل لما كان هناك حاجة للاستغفار، والتوبة، والدعاء، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لو كان القدر حجة على المعائب والذنوب لتعطلت مصالح الناس ، ولعمت الفوضى ، ولما كان هناك داع للحدود ، والتعزيرات ، والجزاءات ، لأن المسيء سيحتج بالقدر ، ولما احتجنا لوضع عقوبات للظلمة ، وقطاع الطريق ، ولا إلى فتح المحاكم ، ونصب القضاء ، بحجة أن كل ما وقع إنما وقع بقدر الله ، وهذا لا يقول به عاقل.

قال ﷺ (ما منكم من أحدٍ إلا قد كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أو مِنَ الْجَنَّةِ، فقال رجلٌ من القوم: ألا نتكَلِّ يا رسولَ اللهِ؟ قال: لا، اعملوا؛ فكلُّ مُيسَّرٍ، ثمَّ قرأ: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (الآية) وفي لفظ لمسلم : كُلُّ ميسَّرٍ لِمَا خُلِقَ له . فأمر النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالعملِ، ونهى عن الاتِّكَالِ على القَدَرِ .

فالسعيد من يستغفر عند المعائب ويصبر على المصائب .

قال ابن تيمية : ليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر. ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول .

٩- قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما : والذى يخلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر .

وكذلك أيضاً قال عبادة بن الصامت ﷺ في مرض موته وهو يوصي ولده (يا بني: إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك).

قال ابن عباس : كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك .

وقال الحسن البصري لتلاميذه : والله لو وضع يدي هذه اليمنى في اليسرى بقضاء وقدر من الله، ومن لم يؤمن بالقضاء والقدر فقد كفر .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : القدر قدرة الله .

فالواجب على الإنسان في هذا الباب أن يؤمن بقضاء الله وقدره، وأن يؤمن بشرع الله وأمره ونهيهِ، وعليه تصديق الخبر، وتنفيذ الأمر.

١٠- لا يوجد شيء يغير القدر .

لأن الله تعالى قال (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) ولقول النبي ﷺ قال (رفعت الأقلام وجفت الصحف) .

قال المباركفوري : رفعت الأقلام وجفت الصحف " أي : كُتِبَ في اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات ، ولا يكتب بعد الفراغ

منه شيء آخر . (تحفة الأحمدي) .

والكتابة نوعان :

نوع لا يتبدل ولا يتغير وهو ما في اللوح المحفوظ .

ونوع يتغير ويتبدل وهو ما بأيدي الملائكة ، وما يستقر أمره أخيراً عندهم هو الذي قد كتب في اللوح المحفوظ ، وهو أحد معاني قوله تعالى : (يَمْخُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) .

ومن هذا يمكننا فهم ما جاء في السنة الصحيحة من كون صلة الرحم تزيد في الأجل أو تُبسط في الرزق ، أو ما جاء في أن الدعاء يرد القضاء ، ففي علم الله تعالى أن عبده يصل رحمه وأنه يدعو فكتب له في اللوح المحفوظ سعة في الرزق وزيادة في الأجل .

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية:

عن الرزق هل يزيد أو ينقص ؟ وهل هو ما أكل أو ما ملكه العبد ؟ فأجاب:

الرزق نوعان :

أحدهما : ما علمه الله أنه يرزقه فهذا لا يتغير .

والثاني : ما كتبه وأعلم به الملائكة ، فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب .

فَإِنَّ الْعَبْدَ يَأْمُرُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تَكْتُبَ لَهُ رِزْقًا، وَإِنْ وَصَلَ رَحْمَهُ زَادَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَبْسُطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ) .

وكذلك عُمرُ داود زاد ستين سنة فجعله الله مائة بعد أن كان أربعين .

ومن هذا الباب قول عمر (اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً فإنك تمحو ما تشاء وتثبت) .

ومن هذا الباب قوله تعالى عن نوح (أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (لا يؤخركم إلى أجلٍ مسمى) .

وشواهد كثيرة ، والأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدره الله وكتبه ، فإن كان قد تقدم بأنه يرزق العبد بسعيه واكتسابه : ألهمه السعي والاكْتِسَابَ ، وذلك الذي قدره له بالاكتساب لا يحصل بدون الاكتساب ، وما قدره له بغير اكتساب كموت موروثه يأتيه به بغير اكتساب .

والسعي سعيان : سعي فيما نصب للرزق كالصناعة والزراعة والتجارة ، وسعي بالدعاء والتوكل والإحسان إلى الخلق ومحو ذلك ،

فإن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . (مجموع الفتاوى) .

١١- قول : اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه .

لا نرى الدعاء هذا، بل نرى أنه محرم، وأنه أعظم من قول الرسول ﷺ: (لا يقل أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت) وذلك لأن الدعاء مما يرد الله به القضاء، كما جاء في الحديث: (لا يرد القضاء إلا الدعاء) والله عز وجل يقضي الشيء ثم يجعل له موانع، فيكون قاضياً بالشيء، وقاضياً بأن هذا الرجل يدعو فيرد القضاء، والذي يرد القضاء هو الله عز وجل .

فمثلاً : الإنسان المريض ، هل يقول : اللهم إني لا أسألك الشفاء ، ولكني أسألك أن تھون المرض ؟

لا، بل يقول: اللهم إنا نسألك الشفاء، فيجزم بطلب المحبوب إليه، دون أن يقول: يا رب أبق ما أكره لكن لطف بي، هل الله عز وجل إلا أكرم الأكرمين وأجود الأجودين؟ وهو القادر على أن يرد عنك ما كان أرادته أولاً بسبب دعائك، فلهذا نحن نرى أن

هذه العبارة محرمة، وأن الواجب أن يقول: اللهم إني أسألك أن تعافيني، أن تشفيني، أن ترد علي غائبي، وما أشبه ذلك . (ابن عثيمين)